

خليل حاوي يكتب

ملحمة الانسان والحضارة

ريتا عوض

لعل احدى السمات الاساسية التي اختص بها الشعر العربي الحديث هي اعادة ربط الفن الشعري بالبناء الحضاري الذي ينبثق الشعر عنه ويكون صورة له . فمسار بذلك ان الشعر الحديث الى الدور الذي كان يقوم به في الاطوار الاولى من الحضارة الانسانية حين كان الشاعر نبي القوم وكاهنهم وساحرهم وقائدهم السياسي والاجتماعي . وهذه هي احدى الدلالات التي تحملها فلسفة الالتزام التي اعتنقها الشعراء المحدثون : ان الشاعر الحديث - بالضرورة - ملتزم بقضية الانسان والحضارة . وليس هذا القول تعميما تجوز فيه استثناءات - كثرت ام قلت - بل هو تعريف يحدد الشعر الحديث ، وكل ما يخرج عنه لا يعد شعرا حديثا ، لان الحداثة لا تعني المعاصرة من حيث الزمان بل تنطوي على خصائص معينة لا يمنع ان يتسم بها بعض الشعر العظيم وان كان سابقا على عصرنا .

من هنا كان الشاعر العربي الحديث هو الشاعر الذي وعى العلاقة الجدلية التي تربط بين الانسان والحضارة من حيث ان الانسان ابو الحضارة وابنها ، وهو الفاعل فيها والمنفعل بها . كما وعى قضية الحضارة العربية من جنينيتها الجاهلية الى ولادتها بانبثاق الدعوة الاسلامية وموتها وشبابها الى هزيمها وشيخوختها وموتها . وعياني معاناة يومية عميقة وحادة مسألة التحديات التي تواجهها الحضارة العربية منذ اكثر من قرن ، وكان صاحب موقف راسخ وواضح من هذه المسألة . ولا انكر ان هذا التحديد يقوم على شروط صعبة لا يطالها عدد كبير ممن اصطلح على تسميتهم « شعراء » ، لكنه جيوي لمن حمل على عاتقه مهمة النبي والقائد .

ان القضية الحضارية الاساسية التي تطرح ذاتها على الشاعر العربي في هذا العصر هي موت الحضارة العربية وانبعائها . وقد برزت اسئلة عديدة كان على الشاعر ان يكتشف بحدسه اجابات لها : هل نحن في عصر انبعاث ام هل الحضارة العربية ما زالت تعاني الموت والاضمحلال ؟ واذا كان موتا ، كيف يتم الانبعاث ؟ وان كان انبعاثا ، هل هو انبعاث اصيل ؟ وما هي القضية الاساسية التي يمكن ان تكون محكا يقرر اجابة على هذه الاسئلة ؟

تفاوتت اجابات الشعراء على هذه الاسئلة ، كل بقدر نفاذ حدسه وصدق وعيه لقضية الانسان والحضارة ، وعمق فعله وتفاعله مع المسألة الحضارية باشكالها جميعا . ولعل خليل حاوي ، احدهم رواد الشعر الحديث ، كان من اكثر هؤلاء الشعراء وعيا وانفذهم حدسا واشملهم ثقافة واعمقهم تجزية واشدهم اخلاصا ووضوحا في موقفه . من هنا كان نتاجه الشعري كشفا اضاء جوانب كانت مظلمة بالنسبة للانسان العادي الذي يفتقد ملكة الرؤيا التي ينفرد بها الانبياء والشعراء ، ووفر اجابات سبق بها الاحداث التي جاءت لتؤكدها .